الأستاذ: قوراري السعيد.
اسم المادة: النص الأدبي القديم(شعر).
الفئة المستهدفة: سنة الأولى جذع مشترك أدب عربي LMD
المحاضرة 05: المراثي النبوية.
أهداف الدرس: أن يتعرف الطالب على المراثي النبوية.
مراحل الدرس:
تعريف المراثي النبوية لغة.
تعريف المراثي النبوية اصطلاحا.
مراثي حسان بن ثابت.
مراثي أبي بكر الصديق.

<u>المحاضرة 05</u>: المراثي النبوية
ورد في المعجم الوسيط: « (رَثَى) الميّتَ، رَثْيًا، ورِثَاءً، ورثَايةً، ومَرْثَاةً، ومَرْثِيَةً: بكاه بعد مَوْتِهِ. وعدَّد مَحَاسِنَهُ.
ويقال: رثاه بقصيدة، ورثاه بكلمة.و له: رحِمَه ورقَّ له.وعَنْهُ.الحديثَ، رِثَايَةً: ذَكَرَه عنه».

والإنسان عندما يودِّع مسافراً فإنه يعيش على أمل اللقاء به ولو بعد حين. وأمّا عندما يودّع إنساناً تحت أطباق الثرى، فإنه لا أمل له في لقائه بهذه الدنيا، وتراه يكرِّرُ مع الشاعر قولَه:

وما الدَّهرُ إلا جامعٌ ومفـــــــرِّقٌ وما الناسُ إلا راحلٌ ومـــــــودَّعُ
فإنْ نحنُ عِشنا يجمع اللهُ شملنا وإن نحن مِتنا فالقيامةُ تجمعُ

ولعل الآراء المتضاربة حول إشكالية مصطلح الرثاء النبوي:هل يعدُّ مدحا للرسول ﷺ ؟،فإننا نستطيع أن نقول:إنّ المدح هو ما كان في حياته ﷺ ،وما كان عقب وفاته هو رثاء،وأما ما كان بعد مدة زمنية من تاريخ وفاته فيدخل في باب المدائح النبوية.

ونشير إلى أن الكثير من مؤرخي السيرة قد ذكروا بعض مراثي الرسول ﷺ ،وأغفلوا بعضها الآخر، ونستغرب أن الكثير من الشعراء لم يُذكر لهم أي نص شعري على الرغم من أن بعضهم عاش إلى فترة الخلفاء الراشدين، وعاش بعضهم الآخر حتى خلافة معاوية بن أبي سفيان، ونذكر من هؤلاء الشعراء والشواعر: لبيد العامري وكعب بن زهير والخنساء وغيرهم، علاوة على أن كعب بن مالك لم يُذكر له إلا نص واحد في رثاء النبي ﷺ ،واستنادا إلى هذه الحقائق فإننا نذهب إلى القول: إن الكثير من هذه الأشعار امتدت إليها يد الضياع أو إغفالا من المؤرخين، ويؤكد ما ذهبنا إليه قول ابن سيد الناس:"ولو فتحنا باب الإكثار وسمحنا بإيراد ما يستحسن في هذا الباب من الأشعار لخرجنا عما جنحنا إليه من الإيجاز والاختصار، فالأشعار في هذا الباب كثيرة..."كما أشار إلى ذلك النويري في نهاية الأرب، كما شكّك الأبشيهي المحلّي في مراثي حسان، على الرغم من أن كلّ مؤرخي السيرة أثبتوا قصائده في رثاء النبي ﷺ بإيرادهم أشعاره.

ونبدأ بالصحابي الجليل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فله قصيدة في رثاء النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أول من رثاه، يقول فيها:

لما رأيتُ نبينا متجنـــــــدلاً ضاقت علي بعرضهن الـــدورُ
فارتاعَ قلبي عندَ ذاك لموتهِ والعظمُ منّي ما حييتُ كَسيـــــــرُ
أعتيقُ، ويحَك! إنّ خلّك قد ثوى والصبرُ عندكَ ما بقيتَ يسيـــرُ

يا ليتني مِن قبلِ مهلكِ صاحبِي غُيّبتُ في لحدٍ عليهِ صخورُ

وكذلك الصحابي حسانُ بن ثابت رضي الله عنه، له دالية رائعة في رثاء النبي صلى الله عليه وسلم، يقول في مطلعها:

بطيبـة رسْم للـرســـول ومعهـــــدُ * * منير وقد تعفو الـرســـوم وتهمـــدُ
ولا تمتحى الآيات مـن دار حُـرمـة * * بها منبـر الهادي الذي كـان يصعدُ
وواضـح آثـار وبـاقـــــي معـالـــم * * * وربـع لـه فيـــه مصلـىً ومسجـــد
بها حجُـرات كـان ينـزل وسْطهـــا * * * مـن الله نـــور يستضـــاء ويـوقَـــد
معارف لم تُطمـسْ على العهـد أيها * * * أتاهـــا البلـــى فـالآي منهـــا تجـــدَّدُ
عـرفت بها رسْم الرسول وعهـــــده * * * وقبـراً بهـا واراه فـــي التُّـــرب ملحـــد
ظللت بها أبكي الرسـول فأسعـدت * * * عيـون ومثـلاها مـن الجفـــن تسعـــد
يـذكّـرن آلاء الرســـول ومـــــا أرى * * * محيـصا لهـا نفسي فنفســـي تبلَّـــد
مفجَّعـة قـد شفَّهـــا فقْـــد أحمـــدٍ * * * فظلَّـــت لآلاء الـرســـــول تعـــــــدِّد

وما بلغت من كـل أمـــر عُشيـــره * * * ولكـن لنفسي بعـــد مـــا قـــد تـوجـــد
أطالت وقوفا تذرف العيـن جهدهـا * * * علـى طلل القبـر الـذي فيـــه أحمـــد
فبوركت يا قبر الرســـول وبوركـتْ * * * بـلاد ثـوى فيهـا الرشيـــد المســـدَّد

إلى أن يقول:

وما فقَد الماضونِ مثلَ محمـــــدٍ * * * و لا مثلَه حتى القيامةِ يُفقَــدُ
أعفَّ وأوفى ذمـــــةً بعـــد ذمـــةٍ * * * و أقربَ منه نـائـــلاً لا ينكّـــد
وأبذلَ منه للطريـــــــف وتالـــــدٍ * * * إذ ضنَّ معطاءٌ بما كان يتلد
وأكرمَ صيتاً في البيوت إذا انتمى * * * وأكرمَ جَـــداً أبطحيـــاً يســـــوَّد
وأمنعَ ذرْواتٍ وأثبتَ فـــــي العـــلا * * * دعائمَ عزٍ شاهقات تشيَّـــد

وأخرى مطلعها:

******

ما بَالُ عَينِـــكَ لا تَنَـــامُ كأنّمَـــا ** كُحِلَتْ مآقِيها بكُحْـلِ الأرْمـــــــدِ
جزعاً على المهديّ، أصبحَ ثاوياً ** يا خيرَ من وطئَ الحصى لا تبعـدِ
جنبي يقيكَ التربَ لهفي ليتنـــي ** غُيِّبْتُ قَبْلَكَ فـــي بَقِيـــعِ الغَرْقَـــدِ
بأبي وأمي منْ شهدتُ وفاتـــهُ ** في يومِ الاثنيـــنِ النبـــيُّ المهتـــدي
فَظَلِلْتُ بَعْـــدَ وَفَاتِـــهِ مُتَبَلِّـــداً ** يا لهْفَ نفسي لَيْتَنـــي لـــم أُولَـــدِ
أأُقِيمُ بَعْدَكَ بالمَدينَـــةِ بَيْنَهُـــمْ؟ ** يا لَيْتَني صُبِّحْـــتُ سَـــمَّ الأسْـــوَدِ
أوْ حلّ أمرُ اللهِ فينا عاجـــــلاً ** في روحةٍ منْ يومنـــا أوْ فـــي غـــدِ
فتقومَ ساعتنا، فنلقى طيبـــــاً ** مَحْضَـــاً ضَرَائِبُـــهُ كَرِيـــمَ المَحْتِـــــدِ
يَا بِكْرَ آمِنَةَ المُبَـــارَكَ ذِكْـــرُهُ ** وَلدَتْـــكَ مُحْصَنَـــةً بِسعْـــدِ الأسعـــدِ
نُوراً أضَاءَ على البَرِيّةِ كُلّهـــا ** مَـــنْ يُهْـــدَ للنّـــورِ المُبَـــارَكِ يَهْتَـــدِ
يَا رَبّ! فاجْمَعنا فمَاً ونَبِيَّنَـــا ** فـــي جَنّـــةٍ تَثْنـــي عُيُـــونَ الحُسّـــدِ
في جَنّةِ الفِرْدَوْسِ واكتُبْها لَنَـــا ** يـــا ذا الجـــلالِ وذا العـــلا والســـؤددِ
واللَّهِ أسْمَعُ ما بَقِيتُ بهالـــــكٍ ** إلا بكيـــتُ علـــى النبـــيّ محمـــدِ
يا ويحَ أنصارِ النبـــيّ ورهطـــهِ ** بَعْـــدَ المغَيَّـــبِ فـــي سَـــوَاءِ المَلْحَـــدِ
ضاقتْ بالأنصارِ البلادُ فأصبحتْ ** ســـوداً وجوههـــمُ كلـــونِ الإثمـــدِ
وَلَقَدْ وَلَدْنَـــاهُ، وَفِينَـــا قَبْـــرُهُ ** وفضـــولُ نعمتـــهِ بنـــا لـــمْ يجحـــدِ
وَاللَّهُ أكْرَمَنا بِهِ وَهَـــدَى بـــــهِ ** أنْصَارَهُ فـــي كُـــلّ سَاعَـــةِ مَشْهَـــدِ
صَلّى الإلهُ وَمَنْ يَحُفُّ بِعَرْشِـــهِ ** والطيبـــونَ علـــى المبـــاركِ أحمـــدِ
فرِحتْ نصارى يَثربٍ ويهودُهـــا ** لمّا تـــوَارَى فـــي الضَريـــحِ المُلحَـــدِ

وممن رثى النبيَّ أيضا: أبو سفيان، وصفية بنت عبد المطلب، وغيرهم.

قال عبد اللَّه بن أنيس يرثى النبي صلى اللَّه عليه وسلم:

تطاول ليلى واعترتني القوارع = وخطـــب جليـــل للبليـــة جامـــع!
غداة نعى الناعي إلينا محمدا، = وتلك التي تصطك منها المسامـع
فلو رد ميتا قتل نفسي قتلتها = !ولكنه لا يدفـــع المـــوت دافـــع
فآليت لا أثنى على هلك هالك = من الناس، ما أوفى ثبير وفـارع
ولكنني باك عليه ومتبـــــع = مصيبته، إني إلى اللَّه ا رجـــع!
وقد قبض اللَّه النبيين قبله، = وعاد أصيبت بالرزى والتبايـــع
فيا ليت شعرى !من يقوم بأمرنا؟ = وهل في قريش من إمام ينـازع؟
ثلثة رهط من قريش هـــم هـــم = أزمة هذا الأمر، واللَّـه صانـــع
علي أو الصديق أو عمر لهـــا، = وليس لها بعد الثلثـة رابـــع!
فإن قال منا قائل غيـــر هـــذه = أبينا، وقلنا :اللَّـــه راء وسامـــع
فيا لقريش !قلدوا الأمر بعضهم، = فإن صحيح القول للناس نافـــع
ولا تبطئوا عنهـــا فواقـــا فإنّهـــا = إذا قطعت لم يمن فيها المطامع

قالت أروى بنت عبد المطلب - رضي الله تبارك وتعالى عنها:-

ألا يا عيـــــن !ويحـــك أسعدينـــي = بدمعك، ما بقيت، وطاوعينـــي
ألا يا عين ويحـــــك !واستهلـــــي = علي نور البلد وأسعدينـــــــي!
فإن عذلتـــــــك عاذلـــــة فولـــي = : علم وفيم، ويحك !تعذلينـــــــي؟
على نور البلـــد معـــــا جميعـــــا = رسول الله أحمد فاتركينـــــــي
فإلا تقصـــــري بالعـــــذل عنـــي، = فلومي ما بدا لك أو دعينـــــي!
لأمـــــر هدنـــــي وأذل ركنـــــي، = وشيب بعد جدتهـــا قرونـــــي!
وقالت عاتكة بنـــت عبـــد المطلـــب - رضي الله تبارك وتعالى عنهـــا
عيني جودا طوال الدهر وانهـــم ا ر = سكبا وسحا بدمع غيـــر تعذيـــر!
يا عين فاستحضري بالدمع واحتفلي = حتى الممات بسجل غير منـــزور
يا عين فانهملي بالدمع واجتهـــدي = للمصطفى، دون خلق الله، بالنور
بمستهل من الشؤبوب ذي سيـــل، = فقد رزئت نبي العـــدل والخيـــر!
وكنت من حذر للموت مشفقـــــة، = وللذي خط من تلـــك المقاديـــر!
من فقد أزهر ضافي الخلق ذي فخر = صاف من العيب والعاهات والزور!
فاذهب حميدا !ج ا زك الله مغفـــرة، = يوم القيامة، عند النفخ في الصور

قالت صفية بنت عبد المطلب -رضي الله تبارك وتعالى عنها:-

لهف نفسي !وبـــت كالمسلـــوب = آرق الليل فعلـــه المحـــروب!
من هموم وحســـرة رد فتنـــي، = ليت أني سقيتهـــا بشعـــوب!
حين قالوا :إن الرسول قد أمسى = وافقته منيـــــة المكتـــوب!
إذ رأينا أن النبـــي صريـــع، = فأشاب القذال أي مشيـــب
إذ رأينـــا بيوتـــه موحشـــات، = ليس فيهن بعد عيش حبيب
أورث القلب ذاك حزنـــا طويـــل، = خالط القلب، فهو كالمرعـــوب
ليت شعري !وكيف أمسى صحيحا = بعد أن بين بالرسول القريب؟
أعظم الناس في البريـــــة حقـــا، = سيد الناس حبه في القلـــوب
فإلى الله ذاك أشكو !وحسبي = يعلم الله حوبتي ونحيبـــي!

قال أبو سفيان - رضي الله تبارك وتعالى عنه-

أرقت فبات ليلي لا يـــزول = وليل أخي المصيبة فيه طول
وأسعدني البكاء وذاك فيما = أصيب المسلمون بـــه قليـــل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت = عشية قيل :قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراهـــا = تكـــاد بنـــا جوانبهـــا تميـــل
فقدنا الوحي والتنزيل فينـــا = يـــروح بـــه ويغـــدو جبرئيـــل
وذاك أحق ما سالت عليـــه = نفوس الناس أو كربت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنـــا = بما يوحى إليـــه ومـــا يقـــول
ويهدينا فل نخشى ضلـــلا = علينا والرســـول لنـــا دليـــل
أفاطم إن جزعت فذاك عذر = وان لم تجزعي ذاك السبيـل
فقبر أبيك سيد كل قبـــــر = وفيه سيد الناس الرســـول